التشاؤم من «رفة العين» يخالف التوكل الصحيح وينافي الإيمان الصريح

عادة ما يحدث للانسان بعض الحركات اللاإرادية في عينه وهي ما تعرف بـ«رفة العين» وذهب الناس في تأويلها مذاهب شتى ما بين متشائم ومحاذر او متعوذ من سوء حظ أو شر قد يأتيه، علما بأنها قد تكون بسبب كيميائي كنقص مادة من المواد أو عنصر من العناصر التي يتكون منها الجسد، فما موقف الشريعة الاسلامية من التشاؤم من رفة العين؟ هذا ما سنعرفه من خلال الفتوى التي افتى بها سماحة الشيخ بن عثيمين رحمه الله عندما سأله سائل بقوله له: سماحة الشيخ عيني اليمنى لها أكثر من أسبوع ترف، ويقول لي البعض إنها فأل شر، فبماذا تفتونني؟؟

فأجابه قائلا: لا علاقة لما ذكرته من رفة العين بفأل الشر، بل هذا من التشاؤم الذي يجب على المسلم الحذر منه، فإنه من أفعال الجاهلية، وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه نهى عن التطير، وأخبر أنه من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب، لكون الطيرة من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، والمراد بالتطير أو الطيرة هو: «التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم»، وقد جاء نهيه صلى الله عليه وسلم عنها في غير ما حديث، فمن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة» رواه البخاري ومسلم، وما رواه أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منّا إلا.....، ولكن الله يذهبه بالتوكل» وقوله: «وما منا إلا...» إلخ، من كلام ابن مسعود، وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ومعناه: ما منا من أحد إلا وقد يقع في قلبه شيء من الطيرة والتشاؤم إلا أن الله تعالى يذهب ذلك من القلب بالتوكل عليه وتفويض الأمر إليه.

وما جاء أيضا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة» رواه البخاري ومسلم.

فهذه الأحاديث صريحة في تحريم التشاؤم والتحذير منه، لما فيه من تعلق القلب بغير الله تعالى، ولأن كل من اعتقد أن بعض الأشياء قد تتسبب في نفعه أو ضره، والله لم يجعلها سببا لذلك، فقد وقع في الشرك الأصغر، وفتح للشيطان بابا لتخويفه وإيذائه في نفسه وبدنه وماله، ولذا نفاها الشارع وأبطلها وأخبر أنه لا تأثير لها في جلب نفع أو دفع ضر.

فإذا علمت ذلك وفقك الله فإن وقع لك شيء من ذلك فعليك أن تتقي الله، وأن تتوكل عليه وأن تستعين به، ولا تلتفت إلى هذه الخواطر السيئة والأوهام الباطلة، وقد أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى علاج التشاؤم، وذلك فيما أخرجه الإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني في الصحيحة من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك.

فلا ينبغي للمؤمن أن يكون متشائما، بل عليه أن يكون دائما متفائلا حسن الظن بربه فإذا سمع شيئا، أو رأى أمرا: ترقب منه الخير؛ وإن كان ظاهره على خلاف ذلك، فيكون مؤملا للخير من ربه في جميع أحواله، وهذه حال المؤمن، فإن أمره كله له خير كما قال صلى الله عليه وسلم: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له». صحيح مسلم، وبهذا يكون المؤمن دائما في حال من الرضا والطمأنينة والتوكل على الله، وبعد عن الهموم والأحزان التي يوسوس له بها الشيطان الذي يحب أن يحزن الذين آمنوا، وهو لا يقدر على أن يضرهم بشيء، نسأل الله لنا ولك السلامة من كل مكروه والله تعالى أعلم.

الإعصار والمجرة .. تشابه أم تطابق؟

تتجلى قدرة الخالق سبحانه في الكثير من آيات كتابه المقروء (القرآن الكريم) وكتابه المنظور (الكون) ومن جملة الآيات الدالة على القدرة التي اكتشفها الانسان مؤخرا ذلك التشابه الذي يصل الى حد التطابق بين الذرة والمجرة، والصور المرفقة تبين وجه الشبه بين المجرة والاعصار ففي الصورة اليمنى نرى صورة لمجرة يبلغ قطرها أكثر من مئة ألف سنة ضوئية، ونلاحظ كيف تدور النجوم حول مركز هذه المجرة، والعجيب ان كل دورة تستغرق مئات الملايين من السنوات الضوئية.

وسبحان الله نرى في الصورة اليسرى إعصاراً تدور فيه ذرات الغيوم بسرعة هائلة وتشكل الغيوم دوامة تشبه تماما الدوامة التي تشكلها النجوم في المجرة، والآن أخي القارئ: ألا يدلك هذا التشابه في الخلق على وحدانية الخالق سبحانه وأن الله تعالى هو الخالق جل وعلا لكل شيء؟ يقول تعالى: «الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل»، ويقول سبحانه «هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه»؟ ويقول تعالى «ذالكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون» (غافر – 62).

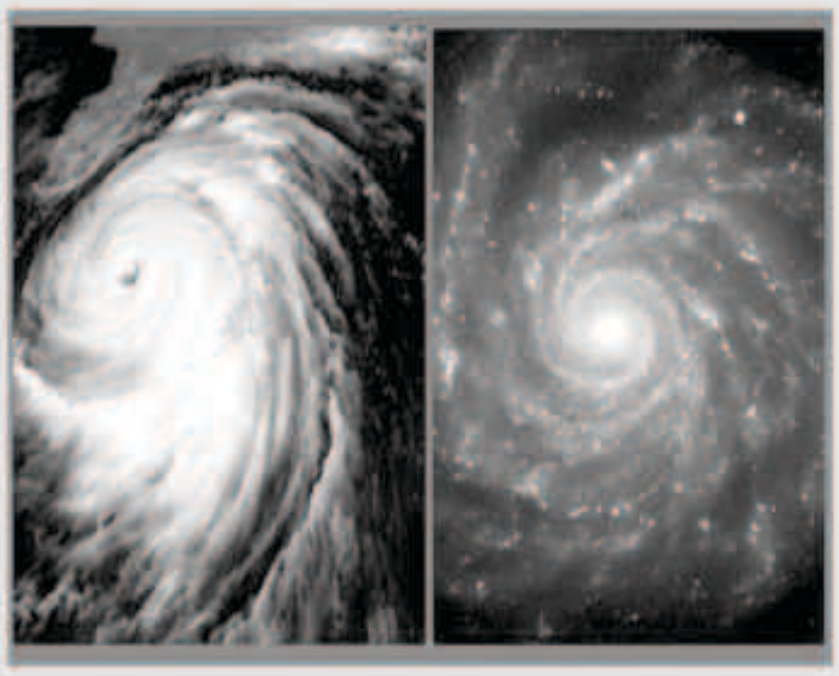

شهادة عدل وإنصاف من الشاعر الألماني غوتة للقرآن ورسول الإسلام

رغم الحملة الشرسة التي يتعرض لها الاسلام واهله من قبل كثرة كاثرة من الحاقدين والحانقين، ورغم ما حاوله رسامو الكاريكاتير للنيل من شخص رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم الا ان هناك اصواتا تتسم بالعقلانية والانصاف تخرج بين الفينة والاخرى لتضيء للناس دروب الصدق وتدلهم على الحق.

ومن بين هذه الاصوات اعترافات الشاعر الالماني غوته تجاه الاسلام التي تأتي لتمثل صوت الضمير الحي لكل عاقل ادرك الحقيقة على صورتها الصحيحة وهذه جملة من اقواله التي سطرها، فماذا قال عن القرآن؟

رجفة الحب

لم يعثر القرآن أي تبديل أو تحريف، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي وتقدسه، القرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم.

المثل الاعلى

وماذا قال عن النبي صلى الله عليه وسلم؟

بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم.

المهاجر الاعظم

يخاطب الشاعر غوتة أستاذه الروحي الشاعر الكبير حافظ شيرازي فيقول: «يا حافظ إن أغانيك لتبعث السكون... إنني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة، بهم جميعا أرجوك أن تأخذنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمد بن عبدالله».

تشريع الغرب ناقص

وماذا قال عن تشريعات الاسلام؟ إن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية، وإننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد.

الليلة المقدسة

لما بلغ غوتة السبعين من عمره، أعلن على الملأ انه يعتزم أن يحتفل في خشوع بتلك الليلة المقدسة التي انزل فيها القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ثقل الجنازة ليس دليلاً على فساد صاحبها

يتساءل البعض: هل ثقل جسم الميت اثناء حمله على الأكتاف ساعة الدفن دليل على أن أعماله السيئة أكثر؟أم ماذا؟

والمعلوم انه ليس في شريعتنا ما يدل على ذلك، وغاية ما ذكره بعض متأخري الفقهاء، ما جاء في حاشية «نهاية المحتاج» للشبراملسي قوله سئل أبو علي النجاد عن خفة الجنازة وثقلها فقال: «إذا خفت فصاحبها شهيد، لأن الشهيد حي، والحي أخف من الميت، قال الله تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون» (آل عمران – 169). ذكره أبو الحسين في طبقاته في ترجمة عمر ابي حفص البرمكي».

لكن الصواب أنها ليست بعلامة صحيحة، فليس ثمة دليل على أن الميت أثقل من الحي، فلم يثبت ذلك بالوجه الشرعي ولا بالوجه الحسي أو العقلي، فضلاً عن أن يكون ذلك علامة على حسن الخاتمة أو سوئها، ولا علامة على صلاح صاحبها أو فساده، وخاصة أن كثيرا من الناس يسيئون الظن ببعض الأموات بهذه العلامات المتوهمة، فيقعون في الزلل والإثم من غير بينة ولا دليل.

قصص الجنائز

وقد جاء في «فتاوى اللجنة الدائمة» التي يجيب عنها اعضاء هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية السؤال الآتي: أخبرني مجموعة من الناس العقلاء وذوي أهل الرأي والسداد : أنهم شاهدوا جنازة رجل مسلم خفيفة جدا جدا، وأخرى كانت ثقيلة جدا جدا، وثالثة أنهم عندما قاموا بإخراجها من المنزل صارت هذه الجنازة تعوم وتتحرك فوق رؤوس الرجال، فما موقف الإسلام من هذه القصص؟ علما أن الذين شاهدوا ذلك رجال ثقات وعدول، والكذب بعيد عنهم.

وأجابت اللجنة: لا نعلم لخفة الجنازة وثقلها أسبابا سوى الأسباب الحسية، وهي نحافة الميت، وضخامة الجسم، أما من يزعم أن ذلك يدل على كرامة الميت إذا كان خفيفا، وعلى فسقه إذا كان ثقيلا، فهذا شيء لا أصل له في الشرع المطهر فيما نعلم.. وأما حركة الجنازة على النعش فيدل ذلك على حياته، وأنه لم يمت، فلينتظر في شأنه، وليعرض على الطبيب المختص حتى يقرر موته أوحياته، ولا يستعجل في دفنه حتى يعلم يقينا أنه ميت.

وقد عد الشيخ الألباني رحمه الله في «أحكام الجنائز»: اعتقاد بعضهم أن الجنازة إذا كانت صالحة خف ثقلها على حامليها، وأسرعت عده من البدع المحدثة، والله أعلم.

همسات إيمانية

لا تعص الله تعالى.. إلاّ بنعمة هي ليست منه وأي نعمة ليست منه سبحانه وتعالى..!

إذا اقترفت الذنوب وتابع الله عليك النعم فاعلم أنّ هذا إمهال وليس إهمالاً من الله سبحانه.. واستعذ بالله من أن يكون هذا استدراجا.

أصلح سريرتك يتكفّل الله بعلانيتك.

لا يغب عن بالك أن «فمن عفا وأصلح فأجره على الله»، بع دنياك بآخرتك.. تربح الدنيا والآخرة، ولاتبع الآخرة بالدنيا.. فتخسر الآخرة والدنيا. قلل من الشهوات.. تقنع بما عندك. أقلل من الذنوب.. يسهل عليك الموت وتشتاق للقاء الله تعالى. إياك وما تختاره النفس إلاّ أن يكون شرع الله تعالى معها. كن دوما لنفسك لواما معاتبا.. ولا تسلمها لهواها. إذا كنت على شهرة.. فأنت على خطر عظيم. لا تبارز الله سبحانه بمعصية.. ولا تكن لله خصيما.

همسات في هوى النفوس

من رحمة الله تعالى.. انه يعطي الدنيا من يُحبّ ويُبغض ولا يعطي الآخرة إلاّ من يحب.

اجعل مالك وما تملك لخدمة دينك، ولا تجعل دينك خادماً لمالك.

احذر أن تكون من الذين يأكلون الدنيا بالدين أي أن تفعل أو تقول شيئا عن الدين للتحصل على شيء من الدنيا تتبوؤه.. والعياذ بالله. لا يكن عزك بالدينار ولا بالمال بل بالله سبحانه وبرسوله والمؤمنين. كن غيوراً لله تعالى وفي الدين إذا انتهكت المحارم لاقدر الله إذا اعتدي على المسلمين وإذا عُصي الله في أرضه، ولا تكن غيورا لعصبيتك الحيوانية وتبعا لهواك. حولك قوم من أهل الجاه والمسؤولية من لو أطعتهم عصيت الله ولو عصيتهم أطعت الله فإن اتقيت الله عز وجل عصمك من فلان ولن يعصمك فلان من الله إن لم تتقه.

همسات في الإخلاص

إذا وقفت على المقابر فتذكر أن فيها الشاب والهرم.. والغني والفقير فأين خدامهم؟ أين حجابهم؟ أين حاشيتهم؟ أين القصور من تلك القبور؟ تذكر أنه لم يبق لك أب حي.. بدءا بسيدنا آدم عليه السلام وأنت لاحق به. لا تقل: غدا غدا.. فلعلك لا تدرك غدا ولا تدري متى إلى الله تصير. قف على المقابر يوما وعد الموتى كيف يدخلون ولا يخرجون.. وتأمل فيمن فارق الأحباب وما يحب فراقهم ومن سكن التراب ولا يحب سكناه. لا تنم من غير وصية وإن كنت على صحة من جسمك. تذكر دوماً أن الموت أيضاً عليك كُتب وأن من تشيعه اليوم غدا تلحق به وكلنا إلى الله راجعون. تذكر أنه لابد لك من قرين يُدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت وهو عملك وليس أمامك إلا جنة أو نار. تأكد أن كل يوم يمضي ينقص من عمرك يوما فإذا جف القلم لا ينفع الندم.

ثمرات الخوف من الله

ما من مخلوق تخافه الا ويمكنك الهرب منه بوسيلة او بأخرى، إلا الله سبحانه وتعالى فإنك إذا خفت منه «وينبغي الخوف منه» هربت إليه فهو المخوف والمرجى ؛ فالخائف من الله يهرب من ربه إلى ربه «ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين».

هذا الخوف لو سلك طريقه تجار الدنيا ممن يحذرون الفقر لنجوا... قال فقيه القلوب يحيى بن معاذ: «مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة».

ومن آثار الخوف من الله إنه يستبدل من الغفلة صحوة ومن السيئة حسنة بل وفوق ذلك يظل أثره ينمو في قلب العبد حتى تلد السيئة حسنتين... قال يحيى بن معاذ: «ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقها حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو».

ويروى أن عمر بن عبدالعزيز قرأ بالناس ذات ليلة «والليل إذا يغشى» فلما بلغ «فأنذرتكم ناراً تلظى» خنقته العبرة فلم يستطع أن ينفذها، فرجع حتى إذا بلغها خنقته العبرة فلم يستطع أن ينفذها فتركها وقرأ سورة غيرها.

فهو خوف يفرض على العبد حقائق يبسطها له أحمد بن حرب في كلمات قصار لكنهن جوامع:

«من يعرف أن الجنة تزين فوقه والنار تسعر تحته كيف ينام بينهما؟!!».

لكن خوفا لا يتبعه عمل، وحسرة لا تولد حركة لهو خوف مزيف وحسرة كاذبة وحجة على صاحبها لا حجة له.

يا آمنا مع قبح الفعل منه هل
أتاك توقيع أمن أنت تملكه
جمعت شيئين أمنا واتباع هوى
هذا وإحداهما في المرء تهلكه
والمحسنون على درب المخاوف قد
ساروا وذلك درب لست تسلكه
فرطت في الزرع وقت البذر من سفه
فكيف عند حصاد الناس تدركه